

الصليب في الإنجيل والقرآن

بقلم إسكندر جديد

١ - صلب المسيح وأثره في الإسلام

هذا الموضوع يثير جدلية الإسلام، كما لم يثرها أي موضوع آخر. فمع أنّ القرآن يقول بوفاة المسيح قبل ارتفاعه إلى السماء، فإن علماء الإسلام اختلفوا في تفسير كلمة «متوفيك» التي وردت في سورة آل عمران ٥٥.

ففرق منهم يقول إنّ الوفاة هنا لا تعني الموت، بينما فريق آخر يقرّ بأنّ المسيح مات فعلاً. ولهم في ذلك روايات شتى، يوردونها بالإسناد عن علماء معتبرين. وقد رأيت أنه من المفيد إيراد بعضها نقلاً عن مفسرين أعلام، كالطبري والرازي والزمخشري وغيرهم:

١ - النوم: عن المثني، قال حدثني إسحاق، عن عبد الله بن جعفر عن الربيع، في قوله «إني متوفيك» قال وفاة النوم رفعه الله في منامه.

٢ - الاستيفاء: عن علي بن سهيل، عن ضمرة بن ربيعة، عن ابن شوذب، عن مطر الوراق في القول «إني متوفيك» قال متوفيك من الدنيا وليس بوفاة موت.

٣ - القبض: عن يونس، قال أخبرنا ابن وهب، عن ابن زيد في قوله «إني متوفيك» قابضك... ولم يميت بعد حتى يقتل الدجال وسيموت.

٤ - المقدم الذي معناه التأخير: قال أبو جعفر الطبري بالإسناد على حديث متواتر عن محمد، أنه قال: ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال ثم يمكث في الأرض مدة، ذكرها واختلفت الرواية في مبلغها - ثم يموت فيصلّي عليه المسلمون.

أما الفريق الذي يقرّ بأنّ الوفاة هي الموت، فلهم عدّة روايات متباينة منها:

١ - عن المثني، قال حدثنا عبد الله بن صالح، عن معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله «إني متوفيك» أي مميتك.

٢ - عن ابن حميد، قال حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن وهب بن منبه أنه قال توفّي الله عيسى ابن مريم ثلاث ساعات حتى رفعه (جامع البيان ٣: ٢٨٩-٢٩٢).

أما شرح الإمام الرازي فنقتبس منه الشهادات التالية:

قال هذا العالم في تفسير الآية: «إذ قال الله يا

عيسى إني متوفيك ورافعك إلي!»، اعترفوا بأنّ الله: شرف عيسى في هذه الآية بصفات:

الصفة الأولى: إني متوفيك ونظيره قوله تعالى، حكاية عنه «فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم». واختلف أهل التأويل في هاتين الآيتين على طريقتين (أحدهما) إجراء الآية على ظاهرها من غير تقديم ولا تأخير.

الصفة الثانية: فرض التقديم والتأخير فيها. أما الطريق الأول فبيانه من وجوه:

الوجه الأول: معنى قوله «متوفيك» أي متّم عمرك، فحينئذ أتواك. فلا أتركهم حتى يقتلوك، بل أنا رافعك إلى سمائي، ومقرّبك ملائكتي، وأصونك عن أن يتمكنوا من قتلك.

الوجه الثاني: «متوفيك» أي مميتك. وهو مروى عن ابن العباس، وحمد بن إسحاق. قالوا والمقصود، أن لا يصل أعداؤه من اليهود إلى قتله. ثم أنه بعد ذلك، أكرمه بأن رفعه إلى السماء، ثم اختلفوا على ثلاثة أوجه:

أولاً: قال وهب: توفّي ثلاث ساعات ثم رفع. ثانياً: قال محمد بن إسحاق: توفّي سبع ساعات ثم أحياه الله ورفع.

ثالثاً: قال الربيع بن أنس: أنه تعالى توفاه حين رفعه إلى السماء. قال تعالى: «الله يتوفّي الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها» (التفسير الكبير ٨: ٦٧).

فظراً لتضارب الآراء عند فقهاء المسلمين واختلفهم في تفسير آي القرآن عن آخرة المسيح لا يستطيع الباحث المخلص إلا أن يتجه إلى نصوص الإنجيل التي لا تحتاج إلى تأويل. لأنّ لا تناقض فيها بخصوص موت المسيح وقيامته وصعوده.

٢ - الصليب في الإنجيل والقرآن

في الأصحاح الأول من رسالته إلى الكورنثيين، قال الرسول بولس: «لأنّ اليهود يسألون آية، واليونانيين يطلبون حكمة، ولكننا نحن نكرز بالمسيح مصلوباً: لليهود عثرة، ولليونانيين جهالة! وأما للمدعوين: يهوداً ويونانيين، فالمسيح قوة الله وحكمة الله» (كورنثوس الأولى ١: ٢٢-٢٤).

وقال في الأصحاح الثاني: «وأنا لما أتيت إليكم أيها الإخوة، أتيت ليس بشموس الكلام أو الحكمة مُنادياً لكم بشهادة الله، لأنني لم أعزّم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً» (كورنثوس الأولى ٢: ١-٢).

وإذا تأملنا في أقوال الرسل عامّة، نرى أنّ الإنجيل

الذي بشّروا به منذ فجر المسيحية وقبله الناس وبه خلصوا، أيما كان الخبر السار، الذي لخصه بولس بهذه العبارات الصريحة: «وأعزّفكم أيها الإخوة بالإنجيل الذي بشّرناكم به، وقبّلتموه، وتقومون فيه، وبه أيضاً تخلّصون، إن كنتم تذكرون أي كلام بشّرناكم به، إلا إذا كنتم قد آمنتم عتياً! فإنني سلّمت إليكم في الأول ما قبّلته أنا أيضاً: أنّ المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكُتُب، وأنه دفن، وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكُتُب» (كورنثوس الأولى ١٥: ١-٤).

ومع ذلك، فبعد مرور ما يربو على الخمس مائة عام على انتشار هذا الإنجيل في كل العالم، جاء من يعترض على هذه الحقيقة. لكأنه يقول للمسيحيين: أنتم على خطأ في دينكم!

ولعل أصحاب هذا الاعتراض أخذوا فكرتهم عن أهل البدع من اليهود المنتصرين، الذين جاروا آباءهم بالاعتقاد أنّ المسيح لا يموت. ونحن مدنيون جداً ليوحنا البشير الذي ذكر لنا هذا الأمر في إنجيله، إذ سجّل لنا قول الفرسيين في حوارهم مع المسيح: «نحن سمعنا من الثاموس أنّ المسيح يتقي إلى الأبد، فكيف تقول أنت إنه ينبغي أن يرتفع ابن الإنسان؟» (يوحنا ١٢: ٣٤).

ويذكر لنا المؤرخون أنّ ضلالة كانت شائعة عند نصارى الجزيرة العربية مفادها أنّ المسيح، وهو القادر أن يتحوّل من صورة إلى صورة، حين جاء أعداؤه لإلقاء القبض عليه، ألقى شبهه على إنسان آخر، فصُلب بديلاً عنه.

أما المسيح فقد ارتفع إلى الذي أرسله، هازئاً بأعدائه.

فالنصّ القرآني عن آخرة المسيح، جاء متفقاً مع هذه الرواية ومعكساً لرواية اليهود، إذ يقول: «وقولهم (أي اليهود) إنّنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإنّ الذين اختلفوا فيه لفي شكّ منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظنّ وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً» (سورة النساء ٤: ١٥٧-١٥٨).

وعلمنا ففهم من رواية أهل البدع الذين التصقوا بالمسيحية، أنّ الصليب بالنسبة لهم لم يكن قضية تاريخ وعقيدة فداء. بل مسألة رمزية كالنجم الذي اهتدى الجوس به إلى مهد طفل المدود في بيت لحم، وكهيئة الحمامة التي نزل بها الروح القدس على المسيح أثناء عماده في نهر الأردن. أما الخشبة الضخمة التي علّق يسوع عليها والتي هي مذبح الفداء، الذي قدّم عليه حمل الله ليرفع خطية العالم، فلا أهميّة لها عندهم. لكأنهم يرفضون الحقيقة التي

نادى بها رسول الأمم: «الْمَسِيحُ أَقْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ
الْثَامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لِأَجَلِنَا، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ
كُلُّ مَنْ عُلِقَ عَلَى خَشَبَةٍ». لِتَصْبِيرَ بَرَكَهَ إِبْرَاهِيمَ لِلْأُمَّمِ
فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، لِنَتَّالَ بِالْإِيمَانِ مَوْعِدَ الرَّوْحِ»
(غلاطية ٣: ١٣-١٤).

ولعل أغرب ما يُقال في الاعتراض على الصليب،
هو ما جاء في الإنجيل المزور والمنسوب إلى يوحنا،
والذي ألقاه أولئك المبدعون: «إن هذا الصليب المنير،
الذي تراه أمامك ليس بصليب الخشب الذي ستره
عند رجوعك إلى الأرض. على ذلك الصليب لم
أكن إيتاي الذي تسمعه الآن ولا تراه. لقد ظلّوني من
لسْتُ إيتاه، إذ لم أكن حينئذٍ من كنت بين الجماهير».

فمما لا شك فيه أنّ الإسلام ورث هذا النفور من
الصليب من أولئك المبدعين، الذين كانوا منتشرين
في الجزيرة العربية التي هي مهد الإسلام. والمؤسف
في الأمر، أن يختلف فقهاء الإسلام في موضوع
إحلال الشبه محلّ المسيح، وتنطلق عدّة روايات
متباينة منها:

أ - أنّ اليهود لما صمّموا على قتل عيسى رفعه الله
إلى السماء، فخاف رؤساؤهم من انتفاض
الشعب عليهم فأخذوا إنساناً وقتلوه وصلبوه
ولبسوا على الناس أنّه عيسى.

ب - أنّ الله ألقى شبه عيسى على إنسان آخر
فمات هذا بدلاً عنه. ولهذه الرواية عدّة
وجوه:

١ - دخل تيطاوس اليهودي بيتاً، كان المسيح
فيه بقصد اعتقاله، فلم يجده. وألقى الله شبه
عيسى عليه، فلمّا خرج ظلّوه أنّه عيسى
فأخذوه وصلبوه.

٢ - أنّ اليهود حين اعتقلوا عيسى، أقاموا عليه
حارساً. ولكنّ عيسى رُفِعَ إلى السماء
بأعجوبة، وألقى الله شبهه على الحارس
فأخذ وصلب وهو يصرخ أنا لست بعيسى.

٣ - وُعد أحد أصحاب عيسى بالجنة فتطوّر
بالموت عنه، فألقى الله شبه عيسى عليه فأخرج
وصُلب. أمّا عيسى فُرفِعَ إلى السماء.

٤ - نافق أحد تابعي عيسى (أي يهوذا) وجاء
مع اليهود ليدلّهم عليه. فلمّا دخل معهم
لأخذه ألقى الله عليه شبهه فأخذ وقُتل
وصُلب.

وقد سرد أبو جعفر الطبري في كتابه «جامع
البيان» عدّة روايات في هذا الصدد.

الأولى - أنّ بعضهم قال: لما أحاطت اليهود
بعيسى وبأصحابه أحاطوا به، وهم لا يثبتون في
معرفة عيسى عينه. وذلك أنّهم جميعاً حوّلوا في
صورة عيسى. فأشكّل الأمر على الذين كانوا يريدون

قتل عيسى. فخرج إليهم بعض من كان في البيت مع
عيسى فقتلوه وهم يحسبونه عيسى.

الثانية - مروية عن ابن حمبة، عن يعقوب القتيبي،
عن وهب بن منبه. قال: أتى عيسى ومعه سبعة عشر
من الحواريين في بيت وأحاطوا به. فلمّا دخلوا
صوّرهم الله كلّهم على صورة عيسى. فقالوا لهم
سحرتُمونا. لتبرزن لنا عيسى، أو لنقتلنكم جميعاً.
فقال عيسى لأصحابه: من يشتري نفسه منكم اليوم
بالجنة؟ فقال رجل منهم أنا. فخرج إليهم، فقال أنا
عيسى فأخذوه، فقتلوه وصلبوه. فبين ثمّ شُبه لهم.
وظنّوا أنّهم قتلوا عيسى. ورفع الله عيسى من يوم
ذلك.

الثالثة - مروية عن محمّد بن الحسين، عن أحمد
بن المفضل، عن أسباط، عن السدي، قال إنّ بني
اسرائيل حصروا عيسى وتسعة عشر رجلاً من
الحواريين في بيت. فقال عيسى لأصحابه: من يأخذ
صورتني، فيقتل وله الجنة؟ فأخذها رجل منه، وصعد
بعيسى إلى السماء. فلمّا خرج الحواريون أبصروهم
تسعة عشر، فأخبروهم أنّ عيسى عليه السلام قد
صعد بهم إلى السماء فجعلوا يعدّون القوم، فيجدون
أنّهم ينقصون رجلاً من العدة، ويرون صورة عيسى
فيهم فشكّوا فيه. وعلى ذلك الرجل. وهم يرون أنّه
عيسى فصلبوه.

الرابعة - مروية عن ابن حميد، عن سلمة عن ابن
إسحاق. قال: كان اسم ملك بني إسرائيل الذي
أرسل إلى عيسى رجلاً منهم ليقتله داود. فلمّا
أجمعوا لذلك، لم يفزع عبد من عباده بالموت فرعه.
ولم يجزع جزعه. وإنّه ليقول عمّا يزعمون: اللهم أن
كنت صارفاً هذه الكأس عن أحد من خلقك،
فاصرفها عني وحتّى إن جلدته من كرب ذلك،
ليتفصّد دماً. فدخل المدخل الذي أجمعوا أن يدخلوا
عليه فيه، ليقتلوه، هو وأصحابه، وهم ثلاثة عشر
بعيسى. فلمّا أيقن أنّهم داخلون عليه ألقى شبهه على
أحدهم فأمسكوه وصلبوه.

الخامسة - مروية عن سلمة، قال حدّثني رجل
كان نصرانياً فأسلم، أنّ عيسى حين جاءه من الله إتي
رافعك إليّ، قال: يا معشر الحواريين أيكم يحب أن
يكون رفيقي في الجنة، على أن يشبهه للقوم في
صورتني فيقتلوه مكاني؟ فقال سرجس. أنا يا روح
الله. قال فاجلس في مجلسي. فجلس فيه ورفع
عيسى، فدخلوا عليه فأخذوه فصلبوه. فكان هو
الذي صلبوه وشُبه له (مجمع البيان ٦: ١٢-١٤).

وجاء في تفسير السنوي الجزء الأول عن مالك:
من المحتمل أن يكون المسيح، مات حقيقة، وأنّه
سيحيى في آخر الزمان، ويقتل الدجال.

وجاء في تفسير ابن كثير، عن إدريس: قال: مات
المسيح ثلاثة أيام ثمّ بعثه الله ورفع.

وقال إخوان الصفا: إنّ المسيح مات وصلب وقام
وترأى لخاصته بعد ذلك (إخوان الصفا جزء ٤،
ص ٣). وكذلك اختلّفوا في اسم الشخص الذي
صلب. ففريق قال إنّ يهوذا، وفريق قال إنّ تيطاوس،
وفريق قال إنّ سرجس، وفريق قال إنّ أحد الحواريين
وكذلك مفسّرو القرآن، إلّا قليلاً منهم لم يكونوا
أكثر توفيقاً في رواياتهم. فقد قال الجلالان في تفسير
مقالة القرآن: «ولكن شُبه له» المقتول وهو صاحبه
بعيسى، أي ألقى الله عليه شبه عيسى ظلّوه إياه
فقتلوه وصلبوه. «وأنّ الذين اختلفوا فيه (أي عيسى)
لني شكّ منه» أي من قتله. لأنّ بعضهم لما رأوا
المقتول قالوا، الوجه وجه عيسى أمّا الجسد فليس
بجسده، وقال بعض آخر أنّه، هو هو (تفسير الجلالين
ص ١٣٥).

وقال البيضاوي: روي أن رهطاً من اليهود سبّوا
عيسى وأتته، فدعى عليهم فمسخوا قردة وخنازير.
فاجتمعت اليهود على قتله، فأخبره الله بأنّه يرفعه إلى
السماء. فقال لأصحابه: أيكم يرضى بأن يلقى عليه
شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة. فقام رجل منهم
فألقى الله عليه شبهه فقتل وصلب.

أمّا الزمخشري، فقد قال: شُبه لهم أي خُيّل إليهم،
أو توهموا أو أوهموا أنّهم قتلوه وصلبوه، فهو ميت لا
حيّ، بل هو حيّ لأنّ الله رفعه إليه.

ولا مرأى في أنّ هذا التباين في الروايات، نجم عن
عدم وجود نصّ صريح في القرآن، حول نهاية أيام
جسد المسيح على الأرض. وهذا التباين فتح باب
الإشكال والتضارب في الآراء. ولهذا لم يكن بدّ
لعالم نزيه كالإمام العلامة فخر الدين الرازي، أن يفنّد
قصة الشبه تنفيذاً محكماً. ففي تفسيره العدد ٥٥ من
سورة آل عمران «يا عيسى إني متوفّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ»
عالج مسألة الشبه بكلّ موضوعيّة إذ قال:

من مباحث هذه الآية موضع مشكل، وهو أنّ نصّ
القرآن دلّ على أنّه تعالى حين رفعه ألقى شبهه على
غيره، على ما قال «وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبهه
لهم» والأخبار أيضاً واردة بذلك، إلّا أنّ الروايات
اختلفت. فتارة يروي أنّ الله تعالى ألقى شبهه على
بعض الأعداء الذين دلّوا اليهود على مكانه حتّى
قتلوه وصلبوه، وتارة يروي أنّه رغب بعض خواصّ
أصحابه في أن يلقي شبهه حتّى يُقتل مكانه.
وبالجملة فكيفما كان، ففي إلقاء شبهه على الغير
إشكالات:

الإشكال الأول - أنّ لو جوّزنا إلقاء شبه إنسان
على إنسان آخر، لزم السفسطة. فإني إذا رأيت
ولدي، ثمّ رأيته ثانياً فحينئذٍ أجوز أن يكون هذا الذي
رأيته ثانياً، ليس بولدي، بل هو إنسان ألقى شبهه
عليه. وحينئذٍ يرتفع الأمان على المحسوسات. وأيضاً
فالصحابه الذين رأوا محمّداً، يأمرهم وبيناهم،

وجب أن لا يعرفوا أنه محتمد، لاحتمال أنهلقى شبهه على غيره. وذلك يفضي إلى سقوط الشرائع. وأيضاً فمدار الأمر في الأخبار المتواترة، على أن يكون الخبير الأول، إنما أخبر عن المحسوس. فإذا جاز وقوع الغلط في المبصرات، كان سقوط خبر التواتر أولى. وبالجملة ففتح هذا الباب، أوله سفسطة، وآخره أبطال النبوات بالكيفية.

الإشكال الثاني - هو أن الله تعالى كان قد أمر جبريل عليه السلام، بأن يكون معه في أكثر الأحوال. هكذا قال المفسرون في تفسير قوله «إذ أتيتك بروح القدس» ثم أن طرف جناح واحد من أجنحة جبريل، كان يكفي العالم من البشر. فكيف لم يكف في منع أولئك اليهود عنه؟ وأيضاً (المسيح) لما كان قادراً على إحياء الموتى، وإبراء الأكمة والأبرص فكيف لم يقدر على إمانته أولئك اليهود، الذين قصدوه بالسوء، وعلى إسقامهم، وإلقاء الزمانة والفلج عليهم حتى يصيروا عاجزين عن التعرض له؟ الإشكال الثالث - أنه تعالى كان قادراً على تخليصه من أولئك الأعداء بأن يرفعه إلى السماء. فما الفائدة في إلقاء شبهه على غيره، إلا إلقاء مسكين في القتل، من غير فائدة إليه؟

الإشكال الرابع - أنه ألقى شبهه على غيره، ثم أنه رُفِعَ بعد ذلك إلى السماء فالقوم اعتقدوا فيه أنه عيسى، مع أنه ما كان عيسى. فهذا كان إلقاء لهم في الجهل والتلبس، وهذا لا يليق بحكمة الله.

الإشكال الخامس - أن النصراني على كثرتهم في مشارق الأرض ومغاربها وشدة محبتهم للمسيح وغلوهم في أمره. أخبروا أنهم شاهدوه مقتولاً ومصلوباً. فلو أنكروا ذلك، كان طعنًا في التواتر. والطعن في التواتر يوجب الطعن في نبوة محمّد، ونبوة عيسى، بل في وجودهما، ووجود سائر الأنبياء، وكل ذلك باطل.

الإشكال السادس - أنه ثبت بالتواتر أن المصلوب بقي حياً زماناً طويلاً. فلو لم يكن ذلك عيسى، بل كان غيره، لأظهر الجزع، ولقال: إني لست بعيسى بل إنما أنا غيره. ولبالغ في تعريف هذا المعنى. ولو ذكر ذلك، لاشتهر عند الخلق هذا المعنى. فلما لم يوجد شيء من هذا، علمنا أن الأمر ليس على ما ذكرتم. (التفسير الكبير ٧٠: ٧٠-٧١).

ولكن إن كان القرآن في مقاله ينفى صلب المسيح، فهو لم ينف موته قبل ارتفاعه إلى السماء. وحين تتأمل في آخرة المسيح من خلال القرآن نجد ثلاثة نصوص تؤكد موته بكلمة وفاة أو موت ونصين يؤكدان موته قتلاً:

١) «وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أُمُوتٍ وَيَوْمَ أُبْعِثُ حَيًّا» (سورة مريم ١٩: ٣٣). ففي هذا النص إقرار صريح بأن المسيح تجسّد ومات

وُبعث، وذلك على شكل نبوة مرتكرة على معجزة. وهذا يوافق نص الإنجيل روحاً وحرافاً.

٢) «إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَتْوَفِيكَ وَرَافِعِكَ إِنِّي وَمُطَهَّرِكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» (سورة آل عمران ٣: ٥٥).

٣) «وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَلَمْ تَقُلْ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتَ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ آتِبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُمْ فِيهِمْ فَالْمَا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ» (سورة المائدة ١١٦: ١١٧).

٤) «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ» (سورة البقرة ٢: ٨٧). فكلما تقتلون هنا لا لبس فيها، ولا يصح تفسيرها بغير القتل. ولما كان القرآن لم يذكر كيف قُتِلَ المسيح، فالإنجيل هو المرجع الأصلي أولاً وأخيراً في هذا الموضوع.

٥) «الَّذِينَ قَالُوا (أي اليهود) إِنَّ اللَّهَ عَهْدُ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بَقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» (سورة آل عمران ٣: ١٨٣).

وإذا ما تقصينا الأمر من روايات القرآن نرى أن الرسول الوحيد الذي أتى بالقربان هو المسيح، إذ يقول: «قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَآزْرُقُنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» (سورة المائدة ١٤: ٥).

والآن لنرجع إلى مقالة سورة النساء «وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم» وذلك في محاولة لإخراج المتشبهين بحرفية كلماتها من سجن الحرف إلى رحاب حرية الروح، ليس لأننا نحتاج إلى غير نصوص الإنجيل لإبراز الحق، وإنما عملاً بمبدأ الكياسة حيال شعور الغير. وهذه المحاولة تستلزمنا أن نكشف عن قصد رؤساء اليهود من قتل المسيح. هذا الأمر بسطه لنا يوحنا البشير في انجيله، إذ يقول: «فَجَمَعَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِيسِيِّينَ مَجْمَعًا وَقَالُوا: «مَاذَا نَصْنَعُ؟ فَإِنَّ هَذَا الْإِنْسَانَ يَعْمَلُ آيَاتٍ كَثِيرَةً. إِنْ تَرَكْنَاهُ هَكَذَا يُؤْمِنُ الْجَمِيعُ بِهِ، فَيَأْتِي الرُّومَانِيُّونَ وَيَأْخُذُونَ مَوْضِعَنَا وَأُمَّتَنَا». فَقَالَ لَهُمْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ،

وَهُوَ قَيْفَا، كَانَ رُؤَسَاءَ الْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ: «أَنْتُمْ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَ شَيْئًا، وَلَا تَفَكَّرُونَ أَنَّهُ خَيْرٌ لَنَا أَنْ يَمُوتَ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ عَنِ الشَّعْبِ وَلَا تَهْلِكَ الْأُمَّةُ كُلُّهَا» (الإنجيل بحسب يوحنا ١١: ٤٧-٥١).

والواقع أنهم حين علّقوه على الصليب، ومات وأنزل في القبر وحُتِمَ باب قبره عليه بأحتمام بيلاطس، فرحوا جداً وظنّوا أنهم تخلّصوا نهائياً، من تعليمه وآياته. وأملا أن موته القاسي يكفي لردع أتباعه عن القيام بأي نشاط. ولكن رياح المشيئة الإلهية أتت بما لا تشتهي سفن إرادة اليهود المستكبرين، لأن موته الكفاري على الصليب، سرعان ما جذب إليه الألوف والربوات. فتَمَّ ما تنبأ به له المجد: «وَأَنَا إِنْ أَرْتَفَعْتُ عَنِ الْأَرْضِ أُجَذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ» (الإنجيل بحسب يوحنا ١٢: ٣٢).

وكذلك العجائب طلّت تجري على أيدي رسله. وفقاً للسلطان الذي أعطاهم إياه. ويخبرنا الكتاب المقدس «وَكَانَ اللَّهُ يَصْنَعُ عَلَيَّ بَدَنِي يُؤَلِّسُ قَوَاتٍ غَيْرِ الْمُتَعَادَةِ، حَتَّىٰ كَانَ يُؤْتِي عَيْنَ جَسَدِيهِ بِمَتَادِيلٍ أَوْ مَازَرَ إِلَى الْمَرْضَى، فَتُرْوَلُ عَنْهُمْ الْأَمْرَاضُ، وَتَخْرُجُ الْأَرْوَاحُ الشَّرِيرَةُ مِنْهُمْ» (أعمال ١٩: ١٢).

ولهذا يمكننا أن نقبل نص القرآن شهادة عليهم «وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا أتباع الظن وما قتلوه يقيناً لأنه قام في اليوم الثالث. وبعد أربعين يوماً ظهر خلالها لتلاميذه، صعد إلى السماء وجلس عن يمين العظمة وفقاً للقول: «إني متوفيك ورافعك إلي».

٣ - أدلتنا على صلب المسيح

إنها كثيرة جداً بحيث لا يتسع مجال هذا الكتيب لذكرها بالتفصيل، ومنها:

أولاً: النبوات

فقد جاءت في الكتب المقدسة نبوات كثيرة عن أحداث تقترن بموت المسيح الفدائي على الصليب، وتمت كلها بالحرف.

النبوة: يُباع بثلاثين من الفضة:

فَقُلْتُ لَهُمْ: «إِنْ حَسَنْ فِي أَعْيُنِكُمْ فَأَعْطُونِي أُجْرَتِي... فَوَزَنُوا أُجْرَتِي ثَلَاثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ» (زكريا ١٢: ١١).

إتمامها

«جِيئَ بِذَبِّ وَاحِدٍ مِنَ الْإِنْتَنِيِّ عَشَرَ، الَّذِي يُدْعَى يَهُودَا الْإِسْحَرْيُوطِي، إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَقَالَ: «مَاذَا تُرِيدُونَ أَنْ تَعْطُونِي وَأَنَا أَسْأَلُهُ إِلَيْكُمْ؟» فَجَعَلُوا لَهُ ثَلَاثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ» (الإنجيل بحسب متى ٢٦: ١٤).

(١٥).

النبوة: يُشري بشمنه حقل يُدعى حقل الفخاري:

قَالَ لِي الرَّبُّ: «الْقَهْأُ إِلَى الْفَخَّارِيِّ، الثَّمَنُ الْكَرِيمِ

الَّذِي تَمُنُونِي بِهِ». فَأَخَذْتُ الثَّلَاثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ وَأَلْقَيْتُهَا إِلَى الْفَخَّارِيِّ فِي بَيْتِ الرَّبِّ» (زكريا ١٣: ١١).

إتمامها

«جِينَيْدٌ لَمَّا رَأَى يَهُودًا الَّذِي أَسْلَمَهُ أَنَّهُ قَدْ دِينَ، نَدِمَ وَرَدَّ الثَّلَاثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخِ قَائِلًا: «قَدْ أَخْطَأْتُ إِذْ سَلَمْتُ دَمًا بَرِيًّا». فَقَالُوا: «مَاذَا عَلَيْنَا؟ أَنْتَ أَصْبِرْ!» فَطَرَحَ الْفِضَّةَ فِي الْهَيْكَلِ وَأَنْصَرَفَ، ثُمَّ مَضَى وَخَتَقَ نَفْسَهُ. فَأَخَذَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ الْفِضَّةَ وَقَالُوا: «لَا يَحِلُّ أَنْ نَلْقِيَهَا فِي الْخِزَانَةِ لِأَنَّهَا ثَمَنُ دَمٍ». فَتَشَاوَرُوا وَأَشْتَرُوا بِهَا حَقْلَ الْفَخَّارِيِّ مَقْبَرَةً لِلْغُرَبَاءِ» (الإنجيل بحسب متى ٢٧: ٣-٨).

النبوة: يُنْكَلُ بِهِ وَيُصَلَّبُ:

«أَخَاطْتُ بِي كِبَالَتْ. جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَشْرَارِ أَكْتَفَفْتَنِي. تَقْبُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ. أَحْصِي كُلَّ عِظَامِي، وَهُمْ يَنْطُرُونَ وَيَتَفَرَّشُونَ فِيَّ» (مزبور ١٦: ٢٢-١٧).

إتمامها

«فَمَضَى بِهِ الْعَسْكَرُ إِلَى دَاخِلِ الدَّارِ... وَجَمَعُوا كُلَّ الْكَنِيسَةِ. وَالْبُسُوهُ أَرْجُوَانًا، وَصَفَرُوا إِكْلِيلاً مِنْ شَوْكٍ وَوَضَعُوهُ عَلَيْهِ، وَابْتَدَأُوا يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ قَائِلِينَ: «السَّلَامُ يَا مَلِكَ الْيَهُودِ!» وَكَانُوا يَضْرِبُونَهُ عَلَى رَأْسِهِ بِقَصَبَةٍ، وَيَبْصُقُونَ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَسْجُدُونَ لَهُ جَائِعِينَ عَلَى رُكْبِهِمْ. وَبَعْدَمَا اسْتَهْزَأُوا بِهِ، نَزَعُوا عَنْهُ الْأَرْجُونَ وَالْبُسُوهَ نِيَابَةً، ثُمَّ خَرَجُوا بِهِ لِيُصَلَّبُوهُ» (الإنجيل بحسب مرقس ١٥: ١٦-٢٠).

النبوة: يُنْخَن بِالْجِرَاحِ:

«وَهُوَ مَجْرُوحٌ لِأَجْلِ مَعْاصِينَا، مَسْحُوقٌ لِأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبٌ سَلَامِنَا عَلَيْهِ، وَبِحَبْرِهِ سَفِينَا» (إشعيا ٥٣: ٥).

«عَلَى ظَهْرِي خَرَّتِ الْحُرَاثُ. طَوَّلُوا أَثْلَامَهُمْ» (مزبور ١٢٩: ٣).

إتمامها

«وَالرَّجَالُ الَّذِينَ كَانُوا ضَابِطِينَ يَسُوعَ كَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ بِهِ وَهُمْ يَجْلِدُونَهُ، وَعَطَّوهُ وَكَانُوا يَضْرِبُونَ وَجْهَهُ وَيَسْأَلُونَهُ: «تَبْنَا! مَنْ هُوَ الَّذِي ضَرَبَكَ؟» (الإنجيل بحسب لوقا ٢٢: ٦٣-٦٤).

النبوة: - يَتَقَبَّلُ الْأَلَامَ بِصَمْتٍ:

«ظَلِمَ أَمَّا هُوَ فَتَدَلَّ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاةَ، كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الدَّنَجِ، وَكَتَعَجَةِ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَارِبِهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاةَ» (إشعيا ٥٣: ٧).

إتمامها

«الَّذِي إِذْ سُتِمَ لَمْ يَكُنْ يَسْتَيْمُ عَوْضًا وَإِذْ تَأَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يَهْدُدُ بَلْ كَانَ يُسَلِّمُ لِمَنْ يَفْضِي بَعْدَلِ. الَّذِي

حَمَلَ هُوَ نَفْسُهُ خَطَايَانًا فِي جَسَدِهِ» (بطرس الأولى ٢٣: ٢٤).

النبوة: يُضْرَبُ وَيُصَقُّ فِي وَجْهِهِ:

«بَدَلْتُ ظَهْرِي لِلضَّارِبِينَ وَخَدِّي لِلتَّائِبِينَ. وَجْهِي لَمْ أَسْتُرْ عَنِ الْعَارِ وَالْبِضْقِ» (إشعيا ٥٠: ٦).

إتمامها

«وَكَانُوا يَضْرِبُونَهُ عَلَى رَأْسِهِ بِقَصَبَةٍ، وَيَبْصُقُونَ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَسْجُدُونَ لَهُ جَائِعِينَ عَلَى رُكْبِهِمْ... جِينَيْدٌ يَبْصُقُوا فِي وَجْهِهِ وَلَكُمُوهُ، وَآخِرُونَ لَطْمُوهُ» (الإنجيل بحسب مرقس ١٥: ١٩، ومتى ٢٦: ٦٧).

النبوة: يُسْتَهْزَأُ بِهِ:

«كُلُّ الَّذِينَ يَزُوتَنِي يَسْتَهْزِئُونَ بِي. يَفْعَرُونَ الشَّفَاةَ وَيُبْغِضُونَ الرَّاسَ قَائِلِينَ: «اتَّكَلْ عَلَى الرَّبِّ فَلْيُنْجِئِهِ. لِيُنْقِذَهُ لِأَنَّهُ سَرَّ بِهِ» (مزبور ٧: ٢٢-٨).

إتمامها

«وَكَانَ الْمُجْتَازُونَ يُجَدِّفُونَ عَلَيْهِ وَهُمْ يَهْزُونَ رُؤُوسَهُمْ قَائِلِينَ: «يَا نَاقِضَ الْهَيْكَلِ وَبَانِيَهُ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، خَلِّصْ نَفْسَكَ! إِنْ كُنْتَ ابْنُ اللَّهِ فَانْزِلْ عَنِّي الصَّلِيبِ!» وَكَذَلِكَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ أَيْضًا وَهُمْ يَسْتَهْزِئُونَ مَعَ الْكُتَّابَةِ وَالشُّيُوخِ قَالُوا: «خَلِّصْ آخِرِينَ وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يَخْلُصَهَا» (الإنجيل بحسب متى ٢٧: ٣٩-٤٢).

النبوة: يتعجب لماذا تركه الآب:

«إِلَهِي! إِلَهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي، بَعِيدًا عَنِ خَلَاصِي عَنِ كَلَامِ زَبُورِي؟» (مزبور ٢٢: ١).

إتمامها

«وَنَحْوُ السَّاعَةِ الثَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلًا: «إِلَهِي إِلَهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟» (الإنجيل بحسب متى ٢٧: ٤٦).

النبوة: يُسْقَى خَلًّا:

«وَيَجْعَلُونَ فِي طَعَامِي عَلَقْمًا، وَفِي عَطَشِي يَشْفُونَنِي خَلًّا» (مزبور ٦٩: ٢١).

إتمامها

«بَعْدَ هَذَا رَأَى يَسُوعُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ كَمَلَ، فَلِكِنِّي بَيِّمَ الْكِتَابَ قَالَ: «أَنَا عَطْشَانٌ». وَكَانَ إِنَاءٌ مَوْضُوعًا تَمَلُّوا خَلًّا، فَمَلُّوا إِشْفِئَةً مِنَ الْخَلِّ، وَوَضَعُوهَا عَلَى زُرُوفًا وَقَدَّمُوهَا إِلَى فَمِهِ» (الإنجيل بحسب يوحنا ١٩: ٢٨-٢٩).

النبوة: يتفاسم الجند ثيابه بالقرعة:

«يَقْسِمُونَ ثِيَابِي بَيْنَهُمْ، وَعَلَى لِبَاسِي يَقْتَرِعُونَ» (مزبور ٢٢: ١٨).

إتمامها

«ثُمَّ إِنَّ الْعَسْكَرَ لَمَّا كَانُوا قَدْ صَلَّبُوا يَسُوعَ، أَخَذُوا ثِيَابَهُ وَجَعَلُوهَا أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ، لِكُلِّ عَشْكَرِي قِسْمًا.

وَأَخَذُوا الْقَمِيصَ أَيْضًا. وَكَانَ الْقَمِيصُ بَعِيرٌ خِيَابَطَةً، مَنْسُوجًا كُتْلُهُ مِنْ فَوْقِ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «لَا نَشَقُّهُ، بَلْ نَقْتَرِعُ عَلَيْهِ لِمَنْ يَكُونُ» (الإنجيل بحسب يوحنا ١٩: ٢٣-٢٤).

النبوة: لا تُكْسَرُ عِظَامُهُ:

«يَحْفَظُ جَمِيعَ عِظَامِهِ. وَاحِدٌ مِنْهَا لَا يَنْكَسِرُ» (مزبور ٣٤: ٢٠).

إتمامها

«فَأَتَى الْعَسْكَرُ وَكَسَرُوا سَاقِي الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ الْمُصَلَّبِينَ مَعَهُ. وَأَمَّا يَسُوعُ فَلَمَّا جَاءُوا إِلَيْهِ لَمْ يَكْسِرُوا سَاقِيهِ، لِأَنَّهُمْ رَأَوْهُ قَدْ مَاتَ» (الإنجيل بحسب يوحنا ١٩: ٣٢-٣٣).

النبوة: يُطْعَن بِحَرْبَةٍ:

«يَنْطُرُونَ إِلَيَّ، الَّذِي طَعَنُوهُ، وَيَتَوَخَّوْنَ عَلَيْهِ كَنَائِحَ عَلَى وَجْهِهِ لَهُ، وَيَكُونُونَ فِي مَرَاةٍ عَلَيْهِ» (زكريا ١٠: ١٢).

إتمامها

«لَكِنَّ وَاحِدًا مِنَ الْعَسْكَرِ طَعَنَ جَنْبَهُ بِحَرْبَةٍ، وَلِلْوَقْتِ خَرَجَ دَمٌ وَمَاءٌ» (الإنجيل بحسب يوحنا ١٩: ٣٤).

النبوة: يموت بين أشرار ويكرم عند موته:

«وَجَعَلَ مَعَ الْأَشْرَارِ قَبْرَهُ، وَمَعَ غَنِيِّ عِنْدَ مَوْتِهِ» (إشعيا ٥٣: ٩).

إتمامها

«جِينَيْدٌ صُلِبَ مَعَهُ لِضَّانٍ، وَاحِدٌ عَنِ الْيَمِينِ وَوَاحِدٌ عَنِ الْيَسَارِ... وَمَا كَانَ الْمَسَاءَ، جَاءَ رَجُلٌ غَنِيٌّ مِنَ الرَّامَةِ اسْمُهُ يُوسُفُ - وَكَانَ هُوَ أَيْضًا تَلْمِيذًا لِيَسُوعَ. فَهَذَا تَقَدَّمَ إِلَى بِيلاطسَ وَطَلَبَ جَسَدَ يَسُوعَ. فَأَمَرَ بِيلاطسُ جِينَيْدًا أَنْ يُعْطِيَ الْجَسَدَ. فَأَخَذَ يُوسُفُ الْجَسَدَ وَلَفَّهُ بِكَتَّانٍ نَقِيٍّ، وَوَضَعَهُ فِي قَبْرِهِ الْجَدِيدِ الَّذِي كَانَ قَدْ نَحْتَهُ فِي الصَّخْرَةِ» (الإنجيل بحسب متى ٢٧: ٣٨، ٥٧-٦٠).

ثانيًا: إعلانات المسيح

في مناسبات عديدة، صرَّح المسيح لتلاميذه بأن عمله الخلاصي يستلزم موته على الصليب. وأبرز تصريح جاء في خطابه الوداعي، الذي ألقاه على مسامعهم في الليلة التي أسلم فيها، والذي يعد بحق روعة الإنجيل. فيما يلي بعض إعلاناته الخاصة بموته على الصليب لغداء الجنس البشري:

«مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يُظْهِرُ لِتَلَامِيذِهِ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَيَتَأَلَّمَ كَثِيرًا مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَّابَةِ، وَيُقْتَلَ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ يَقُومُ» (الإنجيل بحسب متى ١٦: ٢١).

«فِيمَا هُمْ يَتَرَدَّدُونَ فِي الْجَلِيلِ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَبْنُ الْإِنْسَانِ سَوْفَ يُسَلِّمُ إِلَى أَيْدِي النَّاسِ فَيَقْتُلُونَهُ، وَفِي

الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ» (الإنجيل بحسب متى ٢٢: ١٧ و٢٣).

«وَمَا أَكْمَلَ يَسُوعُ هَذِهِ الْأَقْوَالَ كُلَّهَا قَالَ لِتَلَامِيذِهِ: «تَعْلَمُونَ أَنَّهُ بَعْدَ يَوْمَيْنِ يَكُونُ الْفِصْحُ، وَأِنَّ الْإِنْسَانَ يُسَلَّمُ لِيُصَلَّبَ» (الإنجيل بحسب متى ١: ٢٦ و٢).

«وَأَبْتَدَأَ يُعَلِّمُهُمْ أَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَلَّمَ كَثِيرًا، وَيُرْفُضَ مِنَ الشُّبُوحِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلَ، وَيَبْعَثَ نَاصِرًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ يَقُومُ» (الإنجيل بحسب مرقس ٨: ٣١).

«كَانَ يُعَلِّمُ تَلَامِيذَهُ وَيَقُولُ لَهُمْ إِنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى أَيْدِي النَّاسِ فَيَقْتُلُونَهُ، وَيَبْعَثُ أَنْ يُقْتَلَ يَقُومُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ» (الإنجيل بحسب مرقس ٩: ٣١).

«هَا نَحْنُ صَاعِدُونَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَأِنَّ الْإِنْسَانَ يُسَلَّمُ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، فَيَحْكُمُونَ عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ، وَيُسَلِّمُونَهُ إِلَى الْأُمَمِ، فَيَهْرَأُونَ بِهِ وَيَجْلِدُونَهُ وَيَقْتُلُونَهُ عَلَيْهِ وَيَقْتُلُونَهُ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ» (الإنجيل بحسب مرقس ١٠: ٣٣-٣٤).

«يَنْبَغِي أَنْ ابْنَ الْإِنْسَانِ يَتَأَلَّمَ كَثِيرًا، وَيُرْفُضَ مِنَ الشُّبُوحِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلَ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ» (الإنجيل بحسب لوقا ٩: ٢٢).

«وَكَمَّا رَفَعَ مُوسَى الْحَيَّةَ فِي الْبَرِّيَّةِ هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُدْفَعَ ابْنُ الْإِنْسَانِ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونَ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ» (الإنجيل بحسب يوحنا ٣: ١٤-١٥).

ثالثاً: شهادة الرسل

كُلٌّ مِنْ يقرأ سفر أعمال الرسل ورسائلهم، يلاحظ أن التعاليم التي نشرها وبشروها بها في كلِّ العالم قامت على المناداة بالمسيح مصلوباً من أجل خطايا العالم. فيما يلي مقتطفات من أقوال الرسل التي بعد أن نادوا بها، كتبها مسوقين بالروح القدس، لأجل تعليمنا.

قال بطرس لليهود: «يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ... هَذَا أَخَذْتُمُوهُ مُسَلِّمًا بِمَشُورَةِ اللَّهِ الْمُخْتَوِّمَةِ وَعَلِمِهِ السَّابِقِ، وَيَأْتِي أَيْدِي أُمَّةٍ صَالِبْتُمُوهُ» (أعمال ٢: ٢٢-٢٣).

وقال بولس: «لَكِنَّا نَتَكَلَّمُ بِحِكْمَةٍ بَيْنَ الْكَاثِلِينَ، وَلَكِنْ بِحِكْمَةٍ لَيْسَتْ مِنْ هَذَا الدَّهْرِ، وَلَا مِنْ عَظَمَاءِ هَذَا الدَّهْرِ، الَّذِينَ يُنْطَلُونَ. بَلْ نَتَكَلَّمُ بِحِكْمَةِ اللَّهِ فِي سِرٍّ: الْحِكْمَةُ الْمُخْتَوِّمَةُ، الَّتِي سَبَقَ اللَّهُ فَعَيَّنَهَا قَبْلَ الدَّهْرِ لِيُجَدِّدَنَا، الَّتِي لَمْ يَعْلَمْ أَحَدٌ مِنْ عَظَمَاءِ هَذَا الدَّهْرِ - لِأَنَّ لَوْ عَرَفُوا لَمَا صَالَبُوا رَبَّ الْجَدِّ» (كورنثوس الأولى ٢: ٦-٨).

وقال الرسول يوحنا: «وَلَكِنْ إِنْ سَلَكْنَا فِي الثُّورِ كَمَا هُوَ فِي الثُّورِ، فَلَنَا سَرِكَةٌ بَعْضِنَا مَعَ بَعْضٍ، وَدَمٌ يَسُوعُ الْمَسِيحِ آتِيهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيئَةٍ» (يوحنا الأولى ١: ٧).

اقرأ أيضاً أعمال ٢: ٣٦، رومية ٦: ٥-٦، كورنثوس الأولى ١: ١٧-١٨، ١: ٢٢-٢٤، ٢: ١-٢، كورنثوس الثانية ١٣: ٣-٤، غلاطية ٣: ١٣، فيلبي ٢: ٥-٨، عبرانيين ١٢: ٢.

رابعاً: العجائب التي رافقت موت المسيح

يخبرنا متى البشير أنه حين أسلم يسوع الروح أظلمت الشمس وانشق حجاب الهيكل إلى اثنين، من فوق إلى أسفل. والأرض تزلزلت، والقبور تفتحت (الإنجيل بحسب متى ٢٧: ٥٠-٥٤). فقد حدثت ظاهرة في الطبيعة، أثارت عناصرها. ونجم عن فعلها تأثير في النفس البشرية، حتى أن قائد المئة الروماني الوثني المكلف بتنفيذ حكم الإعدام في المسيح ومن معه، اندهشوا وآمنوا بالمصلوب. وقالوا: «حقاً كان هذا ابن الله» لأن هذه الظاهرة الفريدة لم تحدث من قبل ولا من بعد عند موت إنسان.

خامساً: قيامة المسيح

هذا الحادث العجيب جداً، تم وفقاً لقول الرب يسوع للفرسيين والكتبة: «أَنْقَضُوا هَذَا الْهَيْكَلَ وَفِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أَيْمُهُ» (الإنجيل بحسب يوحنا ٢: ١٩).

في الواقع أنه في فجر اليوم الثالث وهو الأحد، حدثت آية الآيات على الإطلاق. فقد قام رب المجد، من بين الأموات. وأعلنت السماء نفسها هذا الحدث العجيب. فقبيل الفجر حدثت زلزلة عظيمة، لأن ملاك الرب نزل من السماء ودحرج الحجر الضخم عن باب القبر. وكان منظره كالبرق ومن خوفه ارتعد الحراس، الذين كلّفوا بأمر من بيلاطس بحراسة القبر. وذلك بناء على طلب رؤساء الكهنة، الذين أشعوا أن تلاميذ يسوع مزعمين على سرقة جسده وإخفائه والمناداة بقيامته.

في ذلك الصباح المجيد، جاء نفر من السيدات ومعهن طيوب وحنوط لدهن جسد يسوع كإكرام أخير. وكان أول من وصلت إلى القبر مريم المجدلية ومريم أم يعقوب. وإذ وجدتا الحجر مدرجاً عن باب القبر، والقبر فارغاً اندهشنا جداً. ولكن فيما هما تتساءلان، ظهر لهما ملاك الرب، وقال لهما «لَا تَخَافَا أَنْتُمَا، فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكُمَا تَطْلُبَانِ يَسُوعَ الْمَظْلُوبَ. لَيْسَ هُوَ هَهُنَا، لِأَنَّهُ قَامَ كَمَا قَالَ. هَلُمَّا أَنْظُرَا الْمَوْضِعَ الَّذِي كَانَ الرَّبُّ مُضْطَجِعاً فِيهِ. وَأَذْهَبَا سَرِيعاً قُولَا لِتَلَامِيذِهِ إِنَّهُ قَدْ قَامَ مِنَ الْأَمْوَاتِ» (الإنجيل بحسب متى ٢٨: ١-٧).

«وَفِيمَا هُمَا مُنْطَلِقَتَانِ لِيُخْبِرَا تَلَامِيذَهُ إِذَا يَسُوعُ لَاقَاهُمَا وَقَالَ: «سَلَامٌ لَكُمَا». فَتَقَدَّمَتَا وَأَمْسَكَتَا بَقَدَمَيْهِ وَسَجَدْتَا لَهُ. فَقَالَ لَهُمَا يَسُوعُ: «لَا تَخَافَا. إِذْهَبَا قُولَا لِإِخْوَتِي أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى الْجَلِيلِ، وَهُنَاكَ يَرُؤُونِي» (الإنجيل بحسب متى ٢٨: ٩-١٠).

هذه حادثة القيامة وقد كتبت في الإنجيل بالوحي، ولا يمكن لمصدق كلمة الله أن ينكرها. وإذا تجرأ أحد

على نكرانها، فكأنه يزعم أن الله والملائكة ويسوع توطأوا معاً لخداع الناس.

سادساً: شهادة التاريخ

إن موت المسيح على الصليب يؤيده المؤرخون القدماء من وثنيين ويهود، وقد كتبوا عنه بكل إيضاح:

١ - تاسيتوس الوثني، سنة ٥٥ ميلادية، كتب هذا المؤرخ في مجلداته الضخمة فصولاً ضافية عن صلب المسيح، والآلام التي تجرّعها.

٢ - يوسيفوس اليهودي، الذي وُلِدَ بعد الصلب بضع سنوات. هذا كتب تاريخ أمته في عشرين مجلداً، وقد أورد في كتاباته بياناً مفصلاً عن صلب المسيح بأمر من بيلاطس.

٣ - لوسيان اليوناني، سنة ١٠٠ ميلادية. هذا كان أحد مؤرخي اليونان البارزين. وقد كتب عن موت المسيح وعن المسيحيين. وإذا كان من مذهب الأبيقوريين، لم يستطع فهم إيمان المسيحيين واستعدادهم للاستشهاد في سبيل يسوع. وقد سخر في كتاباته من اعتقادهم بخلود النفس وشوقهم إلى السماء. وحسبهم شعباً مخدوعاً يتعلق بأهداب ما بعد الموت، بدلاً من التمتع بالوقت الحاضر. وأبرز ما جاء في مؤلفاته في صدد المسيح قوله: «إنَّ المسيحيين ما زالوا يعبدون ذلك الرجل العظيم، الذي صُلب في فلسطين لأنه أدخل إلى العالم ديانة جديدة».

سابعاً: شهادة الوالي بيلاطس

فهذا الطاغية أرسل إلى طيباريوس قيصر تقريراً ضافياً، عن صلب المسيح ودفنه وقيامته. وقد حُفِظ هذا التقرير في سجلات رومية. وكان من الوثائق، التي استند إليها العالم المسيحي ترتليانوس في دفاعه المشهور عن المسيحيين.

ثامناً: شعار الصليب

هذا دليل مادّي، لا يجوز لأحد أن ينكره، لأن لكل دين شعاره كالنجمة السادسة لليهود، والهلال للمسلمين. وإشارة الصليب عُرفت من أقدم عهود المسيحية، وقد نقشها المسيحيون الأوائل على أضرحة الموتى وفي السرايب التي كانوا يجتمعون فيها في زمن الاضطهاد.

تاسعاً: شهادة التواتر

في ممارسة المسيحيين فريضة العشاء الرباني التي تذكّروهم بموت المسيح على الصليب شهادة حيّة على مرور الزمن أن المسيح مات مصلوباً. وبقينا أن هذه الفريضة التي رسمها المسيح في الليلة التي أسلم فيها،

وأوصى تلاميذه بممارستها تذكراً لموته الكفاريّ لدليل قوي لا يمكن نقضه. وقد مارس الرسل الأبطال هذه الفريضة، وسلموها للكنيسة منذ البداية، وفقاً لقول الرسول بولس: «لَأَنْتِي تَسَلَّمْتُ مِنَ الرَّبِّ مَا سَلَّمْتُكُمْ أَيضاً: إِنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي أُسْلِمَ فِيهَا، أَخَذَ خُبْزاً وَشَكَرَ فَكَسَّرَ، وَقَالَ: «خُذُوا كُلُّوا هَذَا هُوَ جَسَدِي الْمَكْشُورُ لِأَجْلِكُمْ. اصْنَعُوا هَذَا لِذِكْرِي». كَذَلِكَ الْكَأْسُ أَيضاً بَعْدَمَا تَعَشَّوْا، قَائِلًا: «هَذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي. اصْنَعُوا هَذَا كُلَّمَا شَرِبْتُمْ لِذِكْرِي» (كورنتوس الأولى ١١: ٢٣-٢٦).

عاشراً: شهادة التلمود اليهودي

من المعروف أنّ التلمود كتاب مقدس في نظر اليهود. وقد جُمع في مجلدات ضخمة، يستطيع أيّ باحث أن يطالع عليها. ففي النسخة التي نُشرت عام ١٩٤٣ في أمستردام، يُقرأ على الصفحة ٤٢ هذه العبارات: لقد صُلب يسوع قبل الفصح بيوم واحد. ونودي أمامه أربعين يوماً أنه سيقتل لأنه ساحر قصد أن يخدع إسرائيل ويضله. وطلب إلى من يشاء الدفاع عنه. ولما لم يتقدم أحد صُلب في مساء الفصح. وهل يجزؤ أحد على الدفاع عنه؟ ألم يكن مفسداً؟ وقد قيل في الأنبياء: أنّ شخصاً مثل هذا «لا تسمع له ولا تُسْفِقْ عَيْنَكَ عَلَيْهِ وَلَا تَرِقْ لَهُ وَلَا تَشْتَرُهُ، بَلْ قَتَلًا تَقْتُلُهُ» (تثنية ١٣: ٨).

٤ - لماذا صُلب المسيح؟

هذا سؤال نسمعه كثيراً، وخصوصاً في هذه الأيام. وليس من جواب أكثر وضوحاً مما جاء في قانون الإيمان: «إنه من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء وتجسد بالروح القدس من مريم العذراء، وصار إنساناً وصُلب عنا على عهد بيلاطس البنطي وتآلم وقُبِرَ وقام أيضاً في اليوم الثالث وصعد إلى السماء».

فيما يلي بعض البراهين على لزوم موت المسيح الكفاري على الصليب:

١ - الحاجة إلى الخلاص:

ما من شك في أنّ الخلاص حاجة جميع الناس لأنّ الخطيئة ثابتة على الجنس البشري، «إذ الجميع أخطأوا وأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللَّهِ» هكذا قال بولس (رومية ٣: ٢٣) «كُلُّنَا كَعَمَّ صَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَالرَّبُّ وَصَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا» (إشعيا ٥٣: ٦). وقال يوحنا: «إِنَّ قُلْنَا إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا خَطِيئَةٌ نُضِلْ أَنْفُسَنَا وَلَيْسَ أَحَقُّ فِينَا... إِنَّ قُلْنَا إِنَّا لَمْ نُخْطِئْ نُجْعَلْه كاذِباً، وَكَلِمَتُهُ لَيْسَتْ فِينَا» (يوحنا ٨: ١-١٠).

ويقيناً أنّ في قلب كل إنسان شعوراً طبيعياً بديهيّاً، بأنّ التوبة لا تستطيع رفع الخطايا السالفة. وآته لا بدّ من وسيلة أكثر فعالية لنيل الصفح. وهذه الوسيلة، هي الكفارة. وإلا فيم نعلل وجود الذبائح، منذ القديم

وانتشارها بين معظم أديان العالم، ونيلها هذا الخطّ الكبير من التقليد والتواتر؟ أليس لأنّ مبدأها موافق لما يشعر به قلب الخاطيء، من الحاجة إلى التكفير عن آثامه؟

٢ - البرهان العقلي:

يقرّ الجميع أنّ الله قدوس، وأنّ الإنسان خاطيء أثيرم. ولما كانت الخطيئة إهانة لاسم الله ومخرية للإنسان، الذي خلقه الله على صورته كشبهه، فقد استحقّ دينونة الله. ولا يمكن تبريرها إلا إذا انتفى حكم الدينونة على الخاطيء. والتوبة التي ليست سوى رجوع إلى خطّ الطاعة لا يمكن أن تعطي التبرير المطلوب. لأن ليس لها شيئاً من عمل التكفير عن الخطايا السالفة. لأنّه لو صحّ ذلك لما بقي كرامة لعدل الله، ولا اعتبار لقداسته.

٣ - موافقة الكفارة لمقتضى الشريعة:

فالشريعة الإلهية لا تتنازل عن حقها وحكمها القائل «أجرة الخطيئة هي موت». أي أنها تطلب قصاص الجاني. والشريعة التي تخلو بنودها من القصاص ليست بشريعة صالحة. الشريعة هي النائب العام، ولا يحقّ للنائب العام أن يتنازل عن طلب القصاص للمذنب، وإلا لطمعن به كحارس صالح للعدل الإلهي. وباختصار فإنّ الشريعة الإلهية تطلب قصاصاً للخاطيء أو كفارة عن خطاياها. وهنا يجب أن تلهج ألسنتنا بالشكر، لأنّ المسيح قدّم هذه الكفارة عن الإنسان، وتبعاً لذلك صار كل من يقبله مخلصاً ينال باسمه غفران الخطايا.

ولسعادة البشر أنّ كفارة المسيح كانت شاملة، بحيث لا يصحّ لأحد أن يقول إنّ المسيح لم يمت من أجله. وما أروع ما قاله إشعيا النبي: «هُوَ حَمَلَ خَطِيئَةَ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي الْمَذْنِبِينَ» (إشعيا ٥٣: ١٢). وقال بولس: «مَعَ كَوْنِهِ إِنَّمَا تَعَلَّمَ الطَّاعَةَ مِمَّا تَأَلَّمَ بِهِ وَإِذْ كَمَّلَ صَارَ لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُطِيعُونَهُ سَبَبَ خَلَاصٍ أَبَدِيٍّ» (عبرانيين ٥: ٩).

٤ - موافقة الكفارة لحاجة الإنسان الأدبية:

من المعروف أنّ لكل إنسان طبيعة أدبية وضميرٍ يقدر سمو العدل والقداسة. فإذا اقتنع بخطيئته ولم يجد لها كفارة ينزعج روحياً، وتضطرب حواسه الأدبية.

ومن المسلم به أيضاً أنّ الإنسان بالرغم من سقوطه وتمرّسه بالخطيئة لا يتلاشى ضميره، بل يبقى تلك القوة الأدبية التي تميّز الحلال من الحرام وتحكم بالعقاب أم بالتواب. ويمكننا القول إنّ هذه القوة هي صدى صوت سلطان الله الذي خلقها على غاية الموافقة في اتجاهاتها مع أحكامه المنزلة على جبل سيناء. ولكنّ هذه القوة مع أهميتها، لا تستطيع خلاص الإنسان من الدينونة. قد يؤثّر احتجاجها على الشرّ لدى الإنسان، ولكنّ الاحتجاج لا

يستطيع تبريره. وأنه فقط يصادق أنّ الناموس حسن. ولكنّ الناموس أيضاً لا يستطيع أن يبرّر. الناموس، قال بولس أنه يؤدّبنا إلى المسيح.

وكذلك صوت دينونة الضمير أو الشعور بالأثم يفرض علينا وسيط صلح يكفر عن خطايانا. ولكن مع بروز هذه الحقيقة، يوجد أكثرية بين الناس تحاول حلّ مشكلة الضمير بأعمال البرّ الذاتي، طئناً أنّ الأعمال البارة تُقابل برحمة الله. ولهذا تراهم يهملون حكم الضمير بالقصاص ويلجأون إلى رجاء الرحمة.

٥ - ترتيب الله للكفارة:

لولم يكن ثمة لزوم للكفارة لما رتبها الله، فقد قال المسيح «أَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ لَمْ يَأْتْ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيُخْدَمَ، وَلِيَبْدُلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ» (الإنجيل بحسب متى ٢٠: ٢٨). «لأنّه هكذا أحبّ الله العالم حتّى بذلّ ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (الإنجيل بحسب يوحنا ٣: ١٦).

وقال الرسول المغبوط بولس: «وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللَّهُ ابْنَهُ مَوْلُوداً مِنْ أَمْرَأَةٍ، مَوْلُوداً تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيُفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَتَّالِ النَّبِيَّ» (غلاطية ٤: ٤: ٥).

هذه الآيات المجيدة تبيّن لنا أنّ الله أحبّ الإنسان، محبة عجيبة غنيّة بالرحمة. وهذه المحبة الفائقة الرحمة تجسّدت في يسوع، وعبر عنها بالفداء الذي أكمله على الصليب. لكي يعرف جميع الناس أنّ الله ليس قدوساً عادلاً وحسب، بل هو أيضاً محبة.

ويقيناً أنّ الفداء، ينبئه ضمير الخاطيء بالمحبة، فتصير المحبة وثاقاً يربطه إلى الصليب، الذي يثبت أنّ الله محبة، ولهذا قال المسيح «وأنا إن ارتفعت عن الأرض، أُجذب إليّ الجميع».

أيها القارئ الكريم، إننا نعيش في زمن كثر فيه الصارخون: هوذا الأنظمة الجديدة، فاعملوا بها. هوذا الإخاء الجديد فاقبلوه. إننا نمد الأيدي للتعاون، ولكن عبثاً يفعلون، بدون صليب المسيح.

فبدون صليب المسيح تفشل الأنظمة الجديدة، ويكذب الإخاء الجديد، وتتحوّل أيدي التعاون إلى أيدي تحمل السلاح.

إنّ خطأ أبناء هذا الدهر أنّهم يشتركون مع اليونانيين واليهود القدماء في نظرهم إلى الصليب، وقد حسبوا الصلْبَ جهالة وضعفاً وحقارة ولعنة وعثرة. وفي تقديرهم الخاطيء نسوا الصرخة الواجب أن ترتفع: «هوذا حملّ الله الذي يرفع خطيئة العالم». لقد غاب عن أذهانهم القول الحكيم: «الرَّبُّ يَوْفَعُ شَأْنَ الْأُمَّةِ، وَعَارُ الشُّعُوبِ الْخَطِيئَةُ» (أمثال ١٤: ٣٤).

أيها القارئ الكريم، إن قرأت هذا الكتيب بانتباه. تستطيع أن تجيب على الأسئلة التالية بسهولة. وإن جاوبت على ثلثيها بصواب، نرسل لك أحد كتبنا المفيدة جائزة لاجتهادك.

- ١ - للمسلمين في موت المسيح ريان، أيهما ترجح؟
- ٢ - معرفة حقيقة آخرة المسيح على الأرض أين يتجه الباحث؟
- ٣ - كيف لخص بولس الرسول الإنجيل في رسالته الأولى الى أهل كورنثوس ١:١٥-٤؟
- ٤ - ما هو ملخص الضلالة التي كانت شائعة عند نصارى الجزيرة العربية؟
- ٥ - مم ورث الإسلام النور من الصليب؟

- ٦ - ما تعليقك على قصة الشبه؟
- ٧ - ما رأيك بموقف الرازي من قصة الشبه؟
- ٨ - اذكر آية من القرآن تؤكد موت المسيح؟
- ٩ - كيف تؤكد أن اليهود قالوا «إنا قتلنا المسيح» بحسب القرآن؟
- ١٠ - اذكر إحدى النبؤات عن صلب المسيح ورقم إتمامها في الإنجيل.
- ١١ - أي نبؤة وإتمامها أثرت فيك؟
- ١٢ - ما الذي تستنتجه من إعلانات المسيح عن صلبه وموته؟
- ١٣ - ما هو الموضوع الرئيسي الذي قامت عليه شهادة الرسل في مناداتهم بالمسيح؟
- ١٤ - ماذا حدث حين أسلم يسوع الروح على الصليب؟
- ١٥ - هل تؤمن بقيامة الأموات؟ وما موقفك من قيامة المسيح؟
- ١٦ - اذكر إحدى الشهادات من التاريخ عن موت المسيح وقيامته.
- ١٧ - ما هو شعار المسيحية ومنذ متى كان هذا الشعار؟
- ١٨ - لإلام تشير فريضة العشاء الرباني؟
- ١٩ - هل في التلمود اليهودي إشارة لصلب المسيح؟
- ٢٠ - حسب اجتهادك هنا: لماذا صُلب المسيح؟
- ٢١ - اكتب الآية من يوحنا ٣:١٦ وحاول حفظها.
- أرسل أجوبتك مع عنوانك الكامل الى:

دار الهداية

The Good Way • P.O. Box 66 • CH-8486 Rikon • Switzerland